



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

الخليج بينهما .. ما الذي يمكن أن تتعلمه دول الخليج العربي من نهج إيران في التعامل مع العراق

نُسيبة يونس



ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تمّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2021

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

الخليج بينهما: ما الذي يمكن أن تتعلمه دول الخليج العربي من نهج إيران في التعامل مع العراق

دُسيبة يونس *

ملخص

- يمثل الوجود الإيراني مصدر إزعاج لقادة دول الخليج، ويشيهم عن التواصل مع البلد بنحو أكبر.
- تتبنى إيران نهجاً براغماتياً استراتيجياً في تعاملها مع العراق، تنخرط على نطاق واسع لتعزيز نفوذها بينما تعمل جاهدة حتى تحافظ على الدعم الاقتصادي العراقي الحيوي، ولاسيما فيما يتصل بمنافستها مع الولايات المتحدة.
- في المقابل، كان نهج دول الخليج في التعامل مع العراق متخبطاً، مع أن الحكم الضعيف في العراق هو من يساهم في هذا التخبط.
- يتيح الغضب الشعبي العراقي من النفوذ الإيراني لدول الخليج أن تقدم صورة إيجابية عنهم بوصفهم مستثمرين محتملين في اقتصاد العراق.
- ينبغي للأوروبيين تشجيع دول الخليج العربي لتتخذ إجراءات استراتيجية أكثر بشأن العراق.
- إن عراقاً يتمتع بعلاقات إقليمية متنوعة من المرجح له أن يكون مستقراً وآمناً، وهذا ما يتماشى مع المصالح الأوروبية في الشرق الأوسط.

* زميلة زائرة للمجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، وهي متخصصة بالشأن العراقي.

مقدمة

تأتي دول الخليج متأخرة على إيران في ترتيب ونطاق وثقل علاقاتها بالعراق. شهدت العلاقات الخليجية العراقية عودة معتدلة منذ رحيل رئيس الوزراء في حينها نوري المالكي عام 2014 وانتهاء نهجه السياسي. لكن لم يُحرز أي تقدم متكافئ على صعيد تطور الروابط السياسية والاقتصادية والأمنية الجوهرية من ذلك الحين. وما تزال دول الخليج حذرة بشأن الاستثمار بكثافة في العراق، ومنتخوفة من أن تنحرف تعهداتهم المالية عن مسارها في نهاية المطاف بواسطة سياسيين مدعومين من إيران والجهات الفاعلة المسلحة في البلاد. كما أن هناك قدراً من الطمأنينة المتأني عن الوجود الدبلوماسي والعسكري الأمريكي والأوروبي في العراق، وهو ما يطمئن دول الخليج إلى أن البلاد لا تمثل تهديداً مباشراً على أمنها.

عندما تتعامل دول الخليج مع العراق، غالباً ما يكون تواصلها تبايني وقصير الأجل وغير استراتيجي، على الرغم من وجود اختلافات بين الدول. على وجه الخصوص، سعت الحكومات الخليجية، في بعض الأحيان، إلى تحديد فاعلين سياسيين عراقيين معينين لدعمهم. بيد أن هذه الخطوة اثبتت فشلها، ولم تسفر عن الكثير، في الحين الذي ساهمت هذه الخطوة في تلوين سمعة دول الخليج في العراق. بينما كانت قد تركزت تعهدات مالية أكثر إيجابية تقدمت بها دول خليجية لتطوير المشاريع الاقتصادية المشتركة، ولكن الوتيرة البطيئة لعجلة البروقراطية في العراق أحبطت آمال هذه الدول على مثل هذه المشاريع، وقد واجهت (هذه الدول) صعوبة في تحديد ما إذا كانت هذه المشاريع متعثرة؛ بسبب التخريب السياسي المتعمد، أو بسبب ضعف قدرة العراق على الحكم.

لكن في الوقت نفسه، تتمتع إيران بروابط سياسية واقتصادية وأمنية وثقافية ممتدة في جميع أنحاء العراق، لا تقتصر على المناطق الشيعية. توفر هذه العلاقات قيمة كبيرة لاقتصاد إيران وقدرتها على إبراز قوتها إقليمياً وخارجياً. إن النهج الإيراني وأسلوبه في التعامل مع العراق جدير بالملاحظة ولاسيما فيما يخص مرونته وديمومته وتوقعاته على المدى الطويل. وعلى الرغم من ذلك، هناك بعض الدلائل على ضعف في التفاعل بين إيران والعراق بسبب اغتيال قائد فيلق القدس الجنرال قاسم سليماني في كانون الثاني 2020، والذي يبدو أنه أدى إلى اشتداد المنافسة بين مختلف الجهات الإيرانية الفاعلة التي تسعى للسيطرة على سياسة بلادهم في العراق. علاوة على ذلك، فإن التأثير الكبير الذي تمارسه إيران في العراق يؤدي بنحو متزايد إلى نفور الجمهور العراقي، ولاسيما بعد أن أدت الجماعات المسلحة المدعومة من إيران دوراً في توجيه الرد العنيف على حركة الاحتجاج 2019-2020 في العراق.

استناداً إلى مقابلات مع محللين وقادة سياسيين ومستشارين خليجيين، تزعم هذه الورقة بأن دول الخليج لديها فرصة لتمييز نفسها عن إيران في عيون الجمهور العراقي. يمكنهم فعل ذلك عبر رفض النهج الإيراني بشكل واضح، ومن خلال انتهاج علاقة تعود بالنفع على الشعب العراقي وتحترم سيادة الدولة العراقية. هذا ما سيعني الاستثمار في تطوير روابط مؤسساتية قوية والامتناع عن دعم الفاعلين السياسيين الفرديين أو الأحزاب. ويعني الالتزام بتوفير موارد مالية لمشاريع تعود بالفائدة المباشرة على المواطنين العراقيين العاديين. وإذا اتبعت دول الخليج هذا النهج في التعامل، فلديها فرصة لبناء علاقات مستدامة طويلة الأمد مع العراق على أساس سمعة متنامية فيما يتعلق بالنزاهة عبر علاقة من شأنها أن تقف في تناقض صارخ مع النهج الإيراني.

إن تعزيز العلاقات العراقية الخليجية من شأنه أيضاً أن يخلق للعراق العديد الفرص للعب دور إقليمي إيجابي، بما في ذلك دوره في التوسط بين دول الخليج وإيران (وهي مبادرة تتبعها الحكومة في بغداد حالياً)، ولأوروبا مصلحة في تشجيع هذه العملية. إن تنوع علاقات العراق الإقليمية من شأنه أن يدعم الرغبة الأوروبية في أن يكون البلد مستقراً على الصعيدين السياسي والاقتصادي وقادراً على النأي بنفسه عن الصراعات الجيوسياسية.

المصالح الإيرانية في العراق

المصالح الجوهرية

تصور إيران نفسها على أنها دولة تحاصرها الدول الغربية وهي ضحية لهذه القوى. تصف اشتباكاتهما الاستباقية في دول الشرق الأوسط، بما في ذلك العراق، بأنها أعمال دفاعية في المقام الأول، جاءت لتحقيق توازن متباين ضد التهديدات الغربية التي يتعرض لها أمنها القومي. ابان غزو العراق عام 2003، أشارت الولايات المتحدة إلى أن إيران جزء من "محور الشر". كل البواعث كانت تشير إلى ان الولايات المتحدة كانت ستغير النظام الإيراني لو أنها نجحت في العراق. كان لإيران مصلحة، تتعلق بوجودها، في عرقلة غزو العراق ومنع جارحها من أن تصبح تابعاً موالياً للغرب في الشرق الأوسط؛ ولقد نجحت إيران إلى حد كبير في هذا الصدد.

لطالما نظرت إيران إلى الجيش العراقي، الذي دربته وجهازته الدول الغربية مادياً، بوصفه تهديد محتمل. لقد سعت إلى تقويض نفوذ الجيش أولاً من خلال دمج مجندين من الميليشيات المدعومة من إيران بقوات الشرطة الفيدرالية، ثم من خلال دعم تطور الجماعات المسلحة وإضفاء

الطابع المؤسساتي عليها، وقد تقوت شوكة هذه الجماعات بعد الحرب على تنظيم (داعش). إن شبكة الجماعات المسلحة في العراق التي ترعاها إيران تسمح لها بتهديد المصالح الغربية بكل ثقة، مع الإبقاء على النأي والإنكار المطلوبين للحيلولة دون تصعيد لا تحمد عقباه.

إن تطبيق العقوبات الأمريكية على إيران جعل من البلاد ضعيفة اقتصادياً إلى أبعد الحدود. بناء على ذلك، فإن علاقتها الاقتصادية بالعراق تمثل حبل النجاة الذي لا بديل عنه. تبلغ قيمة التبادل التجاري بين العراق وإيران عشرات المليارات من الدولارات، وأن عملية شراء العراق المتواصلة للكهرباء من إيران تحقق إيرادات غاية في الأهمية. على الجانب غير الرسمي، فإن عمليات تبادل العملات بين إيران والعراق تمثل مصدراً هاماً للدولار الأمريكي. ويوفر العراق مساراً لتهرب النفط الإيراني.

لا تنظر إيران إلى العراق على أنه مجرد قناة لتمير تهديدات الغرب، ولكنه يعد أيضاً منافساً اقتصادياً محتملاً وهديداً أمنياً في حد ذاته. تدرك إيران جيداً أنه عندما يتم استبعاد مبيعاتها من النفط في الأسواق العالمية، سيكون العراق قادراً على تعويض حصته السوقية من خلال زيادة إنتاجه النفطي.¹ وأن اقتصاداً عراقياً قوياً طور من قدرته الإنتاجية والتصديرية يمكن أن يهدد بتقويض الصادرات الإيرانية. وعلى الصعيد الأمني، ما تزال الحرب العراقية-الإيرانية التي أودت بحياة أكثر من مليون شخص تخيم على ذاكرة قادة الحرس الثوري الإسلامي (IRGC)، وهم من يصيغون سياسة إيران في العراق. بالنسبة لهم، فإن الحيلولة دون نشوب حرب بين البلدين يأتي على رأس أولوياتهم. وفي الآونة الأخيرة، أظهر النمو السريع للجماعات المتطرفة في العراق، بما في ذلك تنظيم القاعدة في العراق وداعش، الخطر الأمني الذي ما يزال العراق يشكله عليها.

هتج إيران

تحتضن إيران بعلاقات وطيدة مع الأحزاب السياسية العراقية القوية، بما في ذلك حزب الدعوة ومنظمة بدر والمجلس الأعلى الإسلامي في العراق (ISCI)، فضلاً عن تفرعه، تيار الحكمة وجميع هذه الأحزاب تشكلت في إيران على يد جهات معارضة عراقية منفية هربت من النظام السابق. ومع ذلك، لم تقصر إيران تواصلها من الذين كانوا معادين علانية لإيران أو الذين قد ترى طهران أنهم تصرفوا ضد المصالح الإيرانية.

1. مقابلة المؤلف مع محلل إيراني عبر الهاتف، 24 آذار 2021.

إن المرونة والصبر وقدرة التحمل التي تتسم بها الاستراتيجية الإيرانية هي من أبرز صفاتها. إن نهج إيران هو نهج براغماتي وواقعي يوفر قدراً من الراحة للسياسيين العراقيين الذين يحتاجون إلى متابعة المواقف المعادية لإيران لأسباب سياسية.² وهذا يعني أن السياسيين العراقيين لديهم دائماً خيار طلب الدعم من الإيرانيين. وغالباً ما يلجأون إلى إيران طلباً للمساعدة عندما يكونون عالقين في مواقف تفاوضية صعبة داخل النظام السياسي العراقي. وهذا يمنح إيران نفوذاً غير عادي في اللحظات الحاسمة في المفاوضات السياسية العراقية، بما في ذلك أثناء عمليات تشكيل الحكومة. إن النظام الانتخابي في العراق لا يتضمن الإعلان عن فائز واضح وأن الحكومات تنبثق بعد مفاوضات مطولة وغير شفافة تجري خلف أبواب مغلقة. إن قدرة إيران على لعب دور الوسيط في الاتفاقات التي تتم بين الفاعلين السياسيين العراقيين تتيح لها الفرصة لتبسط نفوذ كبير على هذه المفاوضات. هذا يعني أن الوزراء وكبار المعينين السياسيين يدينون في كثير من الأحيان بمناصبهم للدعم الإيراني، مما يجعلهم أكثر اذعاناً للمطالب الإيرانية.

سعت إيران خلف مصالحها الامنية في العراق من خلال دعم ازدهار الجماعات المسلحة الخراجة عن سيطرة وزارة الدفاع العراقية. يوفر فيلق القدس، ذراع العمليات الخارجية للحرس الثوري العراقي، للأطراف المسلحة العراقية التدريب والتمويل والتجهيزات. خلقت الحرب على داعش فرصة لنمو كبير في الجماعات المسلحة في العراق. كما ساعدت إيران في إدامة هذه الجماعات عبر دمجها بمؤسسات الحكومة العراقية من خلال لجنة الحشد الشعبي، وهي طريقة تتيح للجماعات الوصول إلى مليارات الدولارات من التمويل الحكومي دون إخضاعها لسيطرة الدولة العراقية. تشير التقارير إلى أن الحكومة المركزية العراقية زادت مخصصات وحدات الحشد الشعبي في الميزانية بأكثر من 45% بين عامي 2019 و 2021. وعلى الرغم من أن ليس جميع قوات الحشد الشعبي لها صلات بطهران، إلا أن معظمها لها صلات وثيقة بفيلق القدس.

مؤخراً، آزت إيران نمو مجاميع مسلحة خارج بُنية تشكيلات الحشد الشعبي لتمكنها من العمل ضد المصالح الغربية في العراق وإبعاد الجماعات وداعميها السياسيين العراقيين إلى حد ما عن العقاب. إن توسع الجماعات المسلحة ذات العلاقات المباشرة مع إيران قد مكّن الإيرانيين من إتقاء شر الجيش العراقي، الذي ينظر إليه بشيء من الريبة بسبب علاقات التدريب والإمداد المكثفة مع الولايات المتحدة. تساعد هذه الجماعات إيران في ممارسة الضغط على الدول الغربية والانتقام من

2. مقابلة المؤلف مع مستشار لقائد سياسي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021.

العدوان الغربي المتصور. وتوفر المجاميع المسلحة لإيران طرقاً لتشكيل الأنشطة السياسية والاقتصادية الوطنية والمحلية لدعم مصالحها الخاصة.

تعرقلت ممارسة إيران للسلطة في العراق باغتيال سليمانى ونائب رئيس هيئة الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس. لقد عزز سليمانى علاقات عميقة عبر الأجهزة السياسية والأمنية والاقتصادية في العراق؛ مما ساعده على استخدام سلطة ونفوذ غير عاديين. خطى اللواء إسماعيل قآني، الذي حل محل سليمانى، خطوات واسعة نحو بناء العلاقات في العراق، لكنه غير قادر على فرض إرادته على الأنشطة السياسية العراقية بالقدر نفسه الذي كان يفرضه سليمانى.

يبدو أن مقتل سليمانى ساهم هو الآخر في تصعيد وتيرة التنافس بين مختلف اللاعبين الإيرانيين حول سياسة العراق. يقول الفاعلون والمراقبون السياسيون العراقيون إن فيلق القدس ينتهج أحياناً سياسات تتعارض مع تلك التي تنتهجها وكالات الاستخبارات الإيرانية المختلفة الفاعلة في العراق، وإن هذه المنهجيات السياسية تتعارض أحياناً مع رسائل الوزراء الإيرانيين أو غيرهم من كبار ممثلي الحكومة أثناء زيارتهم الى العراق. يقول أحد كبار المستشارين السياسيين إن فيلق القدس كان ”في حالة حرب“ مع وكالات استخبارات إيرانية أخرى فاعلة في العراق، لكنه خلص إلى أن فيلق القدس ما يزال صاحب اليد العليا؛ بسبب موارده وعلاقاته الكثيرة في البلاد³.

في الوقت نفسه، أدى مقتل المهندس، الذي زاول سيطرة ملحوظة على الجماعات المسلحة العراقية، إلى تقويض تماسك وانضباط هذه الجماعات. كما ألقى بعبء أكبر على الجهات الفاعلة الإيرانية التي تسعى إلى تنسيق أنشطة الجماعات المسلحة.

تسعى إيران، وبشكل بارز، إلى استخدام القوة الناعمة في العراق من خلال الاستفادة من الهوية الشيعية المشتركة لمعظم الإيرانيين والعراقيين. لكن علاقتها الوثيقة بالقادة السياسيين العراقيين والجماعات المسلحة قوض سمعتها في الشارع العراقي. برغم ذلك، في حين أن العنصر الشيعي ليس هو العنصر الذي يحدد نوع العلاقة، فقد وفر لإيران فرصاً سانحة لتصوير نفسها كشريك وحليف طبيعي للعراق. يزور الملايين من الحجاج وعلماء الدين الإيرانيين العتبات المقدسة الشيعية في النجف وكربلاء كل عام، مما يوفر الفرصة للالتحام على الصعيدين الثقافي والسكاني. إن الأموال التي ينفقها هؤلاء الحجاج خلال رحلاتهم إلى العراق هي مصدر دخل مهم للبلاد. وأنفق المواطنون والحكومة الإيرانية ملايين الدولارات على ترميم المزارات في العراق.

3. مقابلة المؤلف مع أحد كبار التيار الصدري عبر الهاتف ، 5 آذار 2021.

مصالح الخليج في العراق

المصالح الجوهرية

قبل عام 2014، كانت دول الخليج تتجاهل العراق إلى حد كبير، ولم تقم معه سوى الحد الأدنى من العلاقات. على عكس نظرائهم الإيرانيين، يشعر القادة الخليجيين بالاهانة ويعمدون إلى قطع العلاقات مع الجهات السياسية العراقية التي لا "تتبع التعليمات أو تظهر الولاء"، وفقاً لأحد مستشاري زعيم سياسي عراقي⁴.

وشعرت دول الخليج بالاستياء من القوى الغربي، القوى التي حملت مسؤولية السماح للنفوذ الإيراني بالنمو في العراق لهذه الدول الخليجية- وكانت على اعتقاد بان التواصل الدبلوماسي الحقيقي مع بغداد لن يسفر عن شيء. وقد تعززت مخاوف الخليج بشأن السياسة الداخلية العراقية لأنهم اعتبروا المالكي طائفيًا معادياً للسنة. بشكل عام، توقعت حكومات الخليج أن تتحمل الدول الغربية، والولايات المتحدة تحديداً، مسؤولية حمايتها من أي تهديدات مصدرها العراق.

غيرت المكاسب الإقليمية التي حققها تنظيم داعش في العراق عام 2014 تصورات الخليج عن مصالحهم الأمنية في البلاد. شكل التوسع السريع للجماعة عبر شمال العراق في عام 2014 تهديداً أيديولوجياً وأمنياً ملحاً على دول الخليج، وهذا ما خلق باعثاً لهذه الدول للاشتراك مع العراق لهزيمته. أتاح رحيل المالكي ورئاسة حيدر العبادي فرصة لدول الخليج لإعادة علاقاتها مع العراق والشروع في نهج أكثر إيجابية وفعالية تجاه البلاد.

منذ الهزيمة الإقليمية لداعش، أصبح انتشار الجماعات المدعومة من إيران هو التهديد الأمني الأكبر من العراق على دول الخليج. إنهم قلقون من قيام هذه الجماعات بشن هجمات مباشرة على أهداف في أراضيهم، وهو الخوف الذي ظهر على الأرجح في هجوم 2019 بطائرة بدون طيار على منشآت شركة النفط الحكومية أرامكو في المملكة العربية السعودية، وهو هجوم يُعتقد إلى حد بعيد أنه سُن من العراق (على الرغم من نفي الحكومة العراقية الشديد لهذا الأمر).

ويساور القلق دول الخليج حول حجم تعزيز عمق إيران الاستراتيجي وقدرتها على استعراض قوتها إقليمياً من خلال علاقاتها مع الجماعات المسلحة العراقية.⁵ وبرغم مظهر تكثيف أنشطتها

4.مقابلة المؤلف مع مستشار لقائد سياسي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021.

5.مقابلة المؤلف مع سفارة المملكة العربية السعودية في بغداد عبر البريد الإلكتروني، 3 نيسان 2021.

الدبلوماسية في العراق في السنوات الأخيرة، لا يبدو أن دول الخليج لديها رؤية استراتيجية واسعة ط كيفية حماية مصالحها الأمنية في البلاد. نتيجة لذلك، واصلوا إلى حد كبير استغلال الأنشطة الأمنية الغربية في العراق.

على الرغم من أن دول الخليج قد سعت إلى تنفيذ مشاريع اقتصادية في العراق بدرجات متفاوتة، إلا أن هناك تصوراً عاماً بأن التعاون الاقتصادي يفيد البلاد أكثر من هذه المشاريع الاقتصادية. على هذا النحو، يعتقدون أن الحكومة العراقية يجب أن تكون أكثر فعالية في متابعة التعاون الاقتصادي. وما يزال هناك إحباط كبير بشأن فشل بيروقراطية الدولة العراقية في تنفيذ الأنشطة المتفق عليها وتحمل ثقلها في المشاريع المشتركة. وتخشى الحكومات في الخليج أن تتعرض استثماراتها في العراق لهجوم مادي أو سياسي على يد جهات مؤيدة لإيران في البلاد. وهم يدركون تماماً أن حكومة عراقية جديدة وموالية أكثر لإيران يمكن أن تلغي الاتفاقات الرسمية التي أبرمتها الدولة العراقية مع نظيراتها الخليجية.

خلافات بين دول الخليج

لدى دول الخليج منهجيات وأولويات مختلفة عندما يتعلق الأمر بعلاقاتها مع العراق، اتبعت الإمارات العربية المتحدة منهج يتمحور حول الأعمال التجارية إلى حد كبير في البلاد،⁶ بينما ما تزال نظرة المملكة العربية السعودية سياسية بنحو أساس. في غضون ذلك، ابتعدت تفاعلات قطر المحدودة مع العراق عن النهج السني منذ أن فرضت دول الخليج الأخرى حصاراً عليها.⁷

من بين دول الخليج، تتمتع الإمارات العربية المتحدة بأكبر نشاط اقتصادي في العراق مع التركيز الخاص على الاستثمار في قطاع الطاقة في إقليم كردستان وعلى مشاريع البناء،⁸ وعلى الصادرات إلى العراق بما فيها من آلات ومعادن نفيسة وقد سعت الإمارات إلى تقليص تدخلاتها السياسية في العراق، على أمل حماية نشاطها الاقتصادي في البلاد، وهي تدرك حجم النفوذ الإيراني في العراق، وتسعى إلى تقديم نفسها على أنها لاعب اقتصادي لا يشكل تهديداً.⁹ كما أن هناك اقتراحات مفادها أنه لتجنب الاصطدام مع الرياض، تسمح أبو ظبي للسعوديين بأخذ زمام المبادرة سياسياً وأمنياً بشأن العراق.

6. مقابلة المؤلف مع مستشار لقائد سياسي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021.

7. مقابلة المؤلف مع مستشار لقائد سياسي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021.

8. مقابلة المؤلف مع محلل شؤون العراق عبر الهاتف، 4 آذار 2021.

9. مقابلة المؤلف مع مستشار لحزب الحكمة عبر الهاتف، 8 آذار 2021.

على الرغم من أن الإمارات العربية المتحدة لديها التزام عالي المستوى بتطوير علاقة اقتصادية أقوى مع العراق، إلا أنها لا تزال مترددة إلى حد ما في القيام بذلك - في المقام الأول لأنها تخشى أن تكون الحكومة العراقية المقبلة أقل ترحيباً بالاستثمارات الخليجية. يصف أحد المسؤولين العراقيين الإمارات بأنها غير جادة عندما يتعلق الأمر بأنشطتها الاقتصادية في العراق.¹⁰ كما يبدو أن تنفيذ الاتفاقيات الاقتصادية يعوقه ضعف البيروقراطية في كلا الجانبين.

تواصل المملكة العربية السعودية النظر إلى العراق في المقام الأول على أنه قناة لتوسيع قوة إيران الإقليمية، وعليه، فإن أولويتها هي تقليص هذا النفوذ في البلاد.¹¹ عندما طُلب من السفارة السعودية في بغداد لتوصيف المصالح السعودية في العراق، أخبرت السفارة كاتب المقال أنها ستعمل على ضمان أن "عملية صناعة القرار السياسي مستقلة وبعيدة عن التدخل الأجنبي". وأضافت السفارة أن: "سياسة المملكة الخارجية ثابتة إزاء رفض الدور الإيراني التخريبي والتدخل في الشؤون الداخلية لدول المنطقة".¹²

هناك مؤشرات قليلة عن الآلية التي تنوي عبرها المملكة العربية السعودية تحجيم النفوذ الإيراني في العراق. لكن لتحقيق هذه الغاية، يبدو أن الرياض قدمت دعماً سياسياً ومالياً محتملاً لسياسيين عراقيين معينين. لم يؤد هذا النهج إلى تقوية النفوذ السعودي في السياسة العراقية بشكل ملحوظ. وقد كان السعوديون محبطين بشدة بسبب ما يعتبرونه عدم ولاء وتقلب لشركائهم العراقيين، وإن محاولة المملكة العربية السعودية المحبطة لبناء شراكة مع الزعيم السياسي العراقي مقتدى الصدر هي مثال على ذلك. أُستقبل الصدر في المملكة العربية السعودية في عام 2018، لكن العلاقة الوليدة اجهضت بسبب الغضب السعودي من زيارات الصدر لإيران والتعاون الواضح مع كبار القادة الإيرانيين.¹³ النهج السعودي في دعم القادة السياسيين في العراق أقل نجاعة بكثير من النهج الإيراني، ولكن الجهود الحثيثة تخاطر بتقويض التصورات العامة العراقية بشأن المملكة العربية السعودية - حيث يرفض العراقيون بشدة التدخل الأجنبي في نظامهم السياسي - بينما يتيح للسعودية شيء من المزايا السياسية.

10. مقابلة المؤلف مع محلل شؤون العراق عبر الهاتف، 4 آذار 2021.

11. مقابلة أجراها الكاتب مع مفكر صديري عبر الهاتف، 6 آذار 2021.

12. مقابلة المؤلف مع سفارة المملكة العربية السعودية في العراق عبر البريد الإلكتروني، 3 نيسان 2021.

13. مقابلة المؤلف مع مستشار حزب الحكمة السياسي عبر الهاتف 8 آذار 2021. مقابلة المؤلف مع محلل شؤون العراق عبر الهاتف، 4 آذار 2021.

لقد سعت المملكة العربية السعودية إلى إقامة علاقات اقتصادية أكثر متانة مع العراق، على الرغم من اعتراف السفارة السعودية بأن ”التبادل التجاري بين البلدين [لا] يلي تطلعات البلدين ولا يعكس قدراتهما“.¹⁴ زيارة رئيس الوزراء العراقي، مصطفى الكاظمي، في نيسان 2021 إلى السعودية، حثت إلى الإعلان عن عدة مبادرات، بما في ذلك إنشاء صندوق عراقي سعودي مشترك بقيمة 3 مليارات دولار، دفعتها السعودية ثمناً لتشجيع الاستثمار في الاقتصاد العراقي. برغم ذلك، فإن نجاح هذه المبادرات يتطلب من الدولة العراقية اتخاذ خطوات لتمكين الاستثمار السعودي من المضي قدماً. أوضح السعوديون أن عدداً من مبادراتهم في العراق قد تعطلت بسبب البيروقراطية العراقية البطيئة والحاملة وغير الفعالة، وهم محبطون لأن جهودهم الإيجابية في العراق لم تثمر على الرغم من الدعم السياسي الواضح رفيع المستوى لهم من كلا الجانبين.

قبل أن تفرض دول الخليج الأخرى حصاراً عليها في عام 2017، تركزت سياسة قطر في العراق على تقديم دعم واضح للقادة السياسيين السنة العراقيين. عملت قطر مع تركيا على محاولة جمع هؤلاء القادة معاً في كتلة سياسية سنوية عراقية موحدة بعد هزيمة داعش. على الرغم من أن دول الخليج الأخرى، بما في ذلك المملكة العربية السعودية، قد سعت أيضاً إلى تنظيم وتنسيق القادة السياسيين السنة العراقيين، إلا أن تواصلها الدبلوماسي مع العراق لم يقتصر على هذه الجهود - وبالتالي لم تكن هذه المحاولات هي السمة الغالبة للتواصل السعودي مع العراق. لقد فشلت جميع المبادرات الخليجية لتقوية موقف القادة السياسيين السنة العراقيين. ويرجع ذلك جزئياً إلى توقعات دول الخليج غير الواقعية وافتقارها إلى المرونة والصبر الاستراتيجي، وجزئياً إلى الدوافع القوية لهؤلاء السياسيين للتنافس فيما بينهم على المناصب المحدودة المتاحة للسنة داخل النظام السياسي العراقي.¹⁵

شوه تركيز قطر على الجهات السياسية السنوية سمعتها في الشارع والنخبة السياسية في العراق، ولم تفعل الكثير لحماية المصالح الاستراتيجية لقطر هناك. بعد بدء الحصار، أصلحت قطر سياستها الإقليمية - بما في ذلك ما يتعلق بالعراق - من خلال السعي، وبوجه خاص، إلى إقامة علاقات دبلوماسية إيجابية عبر الطيف السياسي¹⁶. لقد ساعد نهج الدوحة الجديد في تقليص اعتمادها

14. مقابلة المؤلف مع سفارة المملكة العربية السعودية في العراق عبر البريد الإلكتروني، 3 نيسان 2021.

15. مقابلة المؤلف مع مستشار لقائد سياسي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021.

16. مقابلة المؤلف مع مستشار لرئيس سياسي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021. مقابلة أجراها المؤلف مع أحد كبار التيار الصدري عبر الهاتف، 5 آذار 2021.

على دول الخليج التي شاركت في الحصار. وقال أمير قطر في لقاء مع الرئيس العراقي برهم صالح عام 2019 إن الخليج يقف إلى جانب العراق ويدعم "تعزيز الاستقرار والسلام وتحقيق التقدم في المجالات الاقتصادية". بعد أن بذلت طاقة كبيرة للنجاة من الحصار سياسياً واقتصادياً، لم يعد لدى قطر قدرة كبيرة على تطوير علاقة جوهريّة مع العراق. ومع ذلك، فإن التحول في خطاب قطر وموقفها تجاه القادة الشيعة العراقيين قد أرسى أساساً إيجابياً يمكن أن تبني عليه هذه العلاقة¹⁷.

كيف تفاوضت دول الخليج على المشهد السياسي المتجدد في العراق

حكومة العبادي

التواصل الإيجابي من العبادي

كان وصول العبادي إلى سدة رئاسة الوزراء في أيلول 2014 لحظة مهمة أذابت الجليد الذي كان يغلف العلاقات بين العراق والخليج. لا تتق دول الخليج بالمالكي إلى حد كبير، حيث تعتبره زعيماً طائفيًا موالياً لإيران ومعاداً للمواطنين السنة ولا يمكن التعويل عليه في الإيفاء بوعدده. على الرغم من أن العبادي ينحدر من نفس الحزب السياسي الذي جاء منه المالكي، فقد تبني خطاباً شاملاً منذ لحظة تسنمه السلطة وخطى خطوات جوهريّة باتجاه المصالحة مع القادة السنة. أعطى هذا التحول في النهج دول الخليج الثقة في أن بادرة الإدارة الجديدة تمثل خروجاً كبيراً عن مشهد الحكومة السابقة.

انخرطت حكومة العبادي في تواصل إيجابي كبير مع دول الخليج - معلنةً أن العراق يسعى إلى علاقات متوازنة معها ومع إيران، وشددت على أن العراق لا يرغب في أن يكون "جزءاً من أي محور". وقد حظيت مبادرات الانفتاح على دول الخليج بدعم أكبر من القادة السياسيين العراقيين المؤثرين الآخرين، بما في ذلك الصدر والزعيم السياسي الشيعي العراقي المعتدل عمار الحكيم. أقنعت هذه المبادرات القادة في الخليج بوجود بيئة مضيافة جديدة في العراق يمكنهم العمل في اجوائها¹⁸. قد يكون التحول في نهج المملكة العربية السعودية تجاه العراق مرتبطاً كذلك بوفاة الملك عبد الله في كانون الثاني 2015. كان الملك عبد الله مرتاباً للغاية بشأن عراق ما بعد الغزو وشعر بالاحباط

17. مقابلة أجراها المؤلف مع مستشار حزب الحكمة عبر الهاتف، 8 آذار 2021. مقابلة أجراها المؤلف مع مفكر صديري عبر الهاتف، 6 آذار 2021.

18. مقابلة المؤلف مع مستشار لتيار الحكمة عبر الهاتف، 8 آذار 2021.

من محاولته السابقة للعمل مع المالكي. برغم ذلك، فقد تمكّن خليفته، الملك سلمان- ونجله محمد بن سلمان- من الاقتراب من العراق والمنطقة برؤية جديدة وحماس متجدد¹⁹.

كانت هناك طفرة على صعيد النشاط الدبلوماسي بين العراق ودول الخليج خلال فترة حكم العبادي. في كانون الاول 2014، وافقت الكويت على إرجاء دفع العراق للتعويضات عن حرب الخليج الأولى (التي وقعت في أوائل التسعينيات) لمدة عام واحد، لتمكين العراق من تجاوز أزمته المالية. في عام 2015، بعثت المملكة العربية السعودية سفيراً إلى العراق لأول مرة منذ ذلك الصراع، واستأنفت الزيارات الدبلوماسية. في عام 2017، زار العبادي ووزير الداخلية آنذاك قاسم الأعرجي الرياض، بينما زار وزير الخارجية السعودي آنذاك عادل الجبير بغداد. كما أعادت دول الخليج العلاقات الدبلوماسية الثنائية الأخرى مع العراق: في آيار 2015، أعلنت قطر أنها ستعيد فتح سفارتها في بغداد بعد اجتماع ناجح بين الرئيس العراقي آنذاك فؤاد معصوم وأمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني.

حربٌ ضد داعش

ركزت حكومة العبادي بشكل كبير على دحر تنظيم داعش في العراق. وبينما كانت الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى تناور بشأن تقديم الدعم العسكري للعراق، عرضت إيران على الفور المساعدة العسكرية والتوجيه الاستراتيجي والتدريب- وفي بعض الأحيان، عملت على إمداد العراق بقواتها وكبار قادتها للانخراط مباشرة في الرد العسكري. يقدر معهد إيراني أن إيران حولت أسلحة بقيمة 16 مليار دولار إلى العراق لدعم القتال ضد داعش، بينما أشار ضباط المخابرات الأمريكية إلى أن إيران كانت تنشر صواريخ وقذائف متطورة في المعارك في العراق. كان لهذه المساعدة، التي روج لها بكثافة في العراق، تأثير إيجابي قوي على تصورات الجمهور العراقي بشأن إيران. ظهر سليمان وكانه موجود في كل مكان على الجبهات الامامية. غالباً ما كان يصور وهو يتعامل مباشرة مع القادة العسكريين العراقيين. وقال قائد إحدى مجاميع الحشد الشعبي إن سليمان اشترك في العمل ”في مركز قيادة العمليات من بداية المعركة حتى النهاية وآخر ما كان يفعله هو زيارة جرحى المعركة في المستشفى“.

19. مقابلة المؤلف مع مستشار لتيار الحكمة عبر الهاتف، 8 آذار 2021.

كما لعبت إيران دوراً مهماً في حشد وتدريب وتنظيم الجماعات المسلحة العراقية غير الرسمية لقتال داعش - وهو الدور الذي أعطى الإيرانيين سطوة بالغة على عشرات الآلاف من العناصر المسلحة في العراق. قانون الحشد الشعبي، الذي أقر في عام 2016، أضفى الطابع الرسمي على هذه الجماعات المسلحة ووفر لها إمكانية الوصول إلى التمويل الحكومي دون أن تبذل الدولة العراقية جهداً للسيطرة عليها بشكل فعال. يضمن القانون عدم حل هذه الجماعات المسلحة بمجرد انتهاء الحرب ضد داعش، وبالتالي تعزيز قدرة إيران في التأثير على النشاط المسلح في العراق²⁰.

بما أن دول الخليج رأت في صعود تنظيم داعش تهديداً مباشراً وفورياً على أمنها، فقد وضعت قواتها الأمنية في حالة تأهب قصوى. وجه التنظيم تهديدات مباشرة لدول الخليج: خاطبت المواطنين السعوديين لكي يهاجموا حكومتهم، وبسببها راح ثمانية من المصلين الشيعة ضحية لتحريرتها في مسجد بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية في تشرين الثاني 2014، فضلاً عن مقتل ثلاثة سعوديين من حرس الحدود، على حدود عرعر بين العراق والسعودية عام 2015. كما أعربت دول الخليج عن قلقها الشديد بشأن عدد مواطنيها الكبير الذين يسافرون إلى العراق وسوريا للانخراط في صفوف داعش، مما دفع محمد بن سلمان للاعتراف: "لم نفعل ما يكفي لحماية أمتنا من التعصب وشبابها من النزعة القتالية والتطرف الديني". دفع حجم التهديد الذي يشكله تنظيم داعش الحكومات الخليجية إلى تحليل العوامل التي مكنت من نمو التطرف العنيف داخل دولهم. أطلقت الإمارات العربية المتحدة عدة مبادرات لمكافحة التطرف العنيف، بما في ذلك مشروع هداية. كما كانت هناك جهود أوسع في الخليج للقضاء على تمويل الإرهاب والحد من التعليقات التحريضية على القنوات الفضائية الخليجية. كان هذا التحول في النهج خطوة مهمة في إعادة تأهيل سمعة دول الخليج في العراق، بعد سنوات من الإحباط الذي شعر به القادة العراقيين من الخطاب الخليجي، لأنهم اعتقدوا أنه يغذي التطرف السني في العراق.

شاركت دول الخليج في التحالف الدولي الذي تشكل لهزيمة داعش، حيث شاركت كل من الإمارات والسعودية وقطر والبحرين في الضربات الجوية للتحالف ضد التنظيم - وإن كان ذلك في سوريا. سمحت دول الخليج للطائرات الأمريكية بالانطلاق من قواعد في أراضيها، بما في ذلك قاعدة العديد الجوية في قطر، وقاعدة الظفرة الجوية في الإمارات، وقاعدة علي السلام الجوية في الكويت. كما عرضت الدعم الإنساني: تعهدت المملكة العربية السعودية بالتبرع بمبلغ 500 مليون دولار للجهود الإنسانية التي تبذلها الأمم المتحدة في العراق، وساهمت الكويت بمبلغ 10 ملايين دولار

20. مقابلة المؤلف مع محلل شؤون العراق عبر الهاتف، 4 آذار 2021.

للأمم المتحدة وعملها مع النازحين العراقيين، وشحنت قطر 300 طن من المساعدات الإنسانية إلى المدن العراقية التي تحتضن النازحين.

سرعان ما أفسح الانحراط الخليجي المبكر في الجهد العسكري العالمي لمكافحة خطر داعش المجال للشك، حيث أصبح من الواضح أن التحالف يعترم اتباع نهج محدود يركز على العراق لن يطيح بالنظام في سوريا أو يواجه بفعالية نفوذ إيران المتنامي في المنطقة. بمرور الوقت، أعادت دول الخليج تركيز أولوياتها الأمنية على إيران، التي اعتبرتها تهديداً أكبر من داعش.

مؤتمر الكويت لإعادة الإعمار

في أوائل عام 2018، شارك الاتحاد الأوروبي والكويت في استضافة مؤتمر دولي لجمع الأموال لإعادة إعمار العراق بعد داعش. كان لهذا الحدث إمكانية ان يجبر العلاقة بين العراق والخليج، ولكن التوقعات التي اسيء تقديرها حول ما يمكن أن يحققه المؤتمر تعني أنه انتهى إلى حد كبير بحجبة أمل من الجانبين. وسعى المؤتمر إلى جمع المنح والقروض واستثمارات القطاع الخاص للمساهمة في إعادة إعمار العراق. لقد قدرت الحكومة العراقية قيمة تكلفة إعادة الإعمار ستبلغ 88.2 مليار دولار، ولكنها فشلت في إدارة توقعاتها الخاصة ورسائلها للجماهير حول ما يمكن اثارته بشكل واقعي في المؤتمر. نتيجة لذلك، وعلى الرغم من جمع 30 مليار دولار في هذا المؤتمر، وإن كان هذا المبلغ في الغالب على شكل تسهيلات ائتمانية واستثمارات بدلاً من المنح، فقد وصفته العناوين الرئيسية بالفشل. تسبب ذلك في استياء دول الخليج مما اعتقدت أنه نكران للجميل من العراقيين.

لو أن المؤتمر صيغ بشكل مختلف، لكان من الممكن أن يُنظر إليه بدلاً من ذلك على أنه لحظة فاصلة في العلاقات بين الخليج والعراق حيث كثفت دول الخليج ارتباطها بنحو كبير بالعراق. ساهمت المملكة العربية السعودية بمليار دولار في شكل قروض و500 مليون دولار في شكل قروض تصديرية. بينما تعهدت الإمارات بتقديم مساعدات بقيمة 500 مليون دولار، ووعدت باستثمارات بقيمة 5.5 مليار دولار من القطاع الخاص لقاعدة الرشيد وميناء أم قصر. وتعهدت قطر بتقديم قروض واستثمارات بقيمة مليار دولار تركز على البنية التحتية، بينما تعهدت الكويت بقرض بقيمة مليار دولار واستثمارات أخرى بقيمة مليار دولار. قليلة هي التعهدات التي تم الإيفاء بها، ولكن المسؤولين في الحكومة العراقية يعترفون بأن السبب يرجع في جزء كبير منه إلى عدم قدرتها

على النجاح تطوير برامج الاستثمار التي يمكن أن تستفيد من القروض²¹. وكانت هناك مشاركة كبيرة في المؤتمر من الشركات الخليجية، مما خلق فرصة للعراق للتواصل مع القطاع الخاص في الخليج. ورغم ذلك، كان المخرجات الناجحة من هذه المشاركة ضئيلة، لأن الحواجز أمام ممارسة الأعمال التجارية في العراق لا تزال بارزة بشكل لا يصدق، ويرجع ذلك أساساً إلى ضعف التنظيم العراقي والأعباء البيروقراطية الشديدة، التي تخول حضور الفساد في كل مرحلة من مراحل المشروع الخاص.

وقد حضرت إيران مؤتمر الكويت لإعادة الإعمار، حيث ترأس وزير الخارجية محمد جواد ظريف وفداً. لم تتعهد طهران في المؤتمر، لكن بعد شهر، عرض نائب الرئيس إسحاق جهانجيري اعتمادات ائتمانية بقيمة 3 مليارات دولار للعراق. بسبب الصعوبات المالية التي تعاني منها، والتي تفاقمت بسبب العقوبات الأمريكية، لم تتمكن إيران في النهاية من توفير أموال كبيرة لإعادة الإعمار للعراق. كان بإمكان دول الخليج استخدام قنواتها الإعلامية لتسليط الضوء على التناقض بين نقص الاستثمار في إعادة الإعمار من إيران مقارنةً بالتعهدات الخليجية، لكنها فوتت هذه الفرصة للتواصل مع الجمهور العراقي.

أعوام ترامب

أفضى فوز دونالد ترامب في الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام 2016 إلى تغيير الديناميكيات الإقليمية، ووضع طهران تحت ضغط كبير بعد انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي الإيراني في أيار 2018، وعزز ثقة الخليج في دعم واشنطن ضد التوسع الإيراني في المنطقة. بعد سنوات من الغضب من إدارة أوباما بسبب الاتفاق النووي، استمدت دول الخليج دعماً من نهج إدارة ترامب المتشدد تجاه إيران. كانت دول الخليج أكثر ميلاً للاستجابة لمناشدة الولايات المتحدة لتقوية علاقاتها مع العراق لأنها تشعر الآن أن واشنطن تأخذ مخاوفها الأمنية الإقليمية على محمل الجد. على وجه الخصوص، كان تدشين مجلس التعاون السعودي العراقي، الذي انعقد في تشرين الأول 2017 وحضره وزير الخارجية الأمريكي آنذاك ريكس تيلرسون، مثالاً على نهج أكثر حزمًا وطويل الأمد لتطوير علاقات مستدامة ومتعددة الأوجه مع العراق.

في غضون ذلك، ساهم انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي الإيراني وإعادة فرض العقوبات على إيران في تمرق العلاقة بين إيران والعبادي. كان الإيرانيون غاضبين من الغبن

21. مقابلة المؤلف مع مسؤول عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021.

الذي لحق بهم بعد انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاقية، ومدركين للغاية لحاجتهم إلى المساعدة العراقية للالتفاف على العقوبات المتجددة، لقد شعروا أن العبادي لم يقدم ما يكفي من التطمينات والدعم لإيران خلال وقت الحاجة²². على الرغم من أن القادة الإيرانيين واقعيين بشأن التعاون العراقي مع الولايات المتحدة وحول الحاجة إلى الامتثال الرسمي لنظام العقوبات، فقد شعروا أن هناك شحة في الدعم غير الرسمي والمعنوي من العبادي في وقت حساس يمرون به. تفاقم التلغ الذي لحق بعلاقة العبادي بالإيرانيين بسبب جهوده للحد من التمويل لوحدة الحشد الشعبي، وبسبب علاقته المضطربة مع الحرس الثوري الإيراني، والصعوبات التي واجهها الإيرانيون في الوصول والتأثير بشكل مستدام على أنشطة دائرته المقربة الضيقة²³.

حكومة عبد المهدي

تأثير نهج عبد المهدي

كانت نتيجة الانتخابات البرلمانية لعام 2018 إيجابية نسبياً بالنسبة لإيران، فقد سُرت طهران بفشل تحالف النصر بزعامة العبادي وفوز تحالف الفتح الموالي لإيران بثاني أكبر عدد من المقاعد. عملت إيران بشكل مكثف للتوسط في اتفاق بين تحالف الفتح والجماعة السياسية السنية بقيادة خميس الخنجر، مما يضمن دعم مكون سني مهم لهذا التحالف²⁴. إن استعداد إيران للتفاوض مع الخنجر، الذي كان في السابق أحد أكثر الأصوات الصادرة المناهضة لإيران في الطبقة السياسية العراقية السنية، يدل على براغماتييتها واستعدادها للعمل مع أي جهة سعيًا لتحقيق مصالحها.

وعلى الرغم من الضغوط الإيرانية لتسنم مستشار الأمن القومي السابق فالح الفياض منصب رئيس الوزراء، فإن الاختيار النهائي لعادل عبد المهدي كان نتيجة مُرضية لهم²⁵. كان عبد المهدي عضواً سابقاً في المجلس الأعلى الإسلامي العراقي، وكانت له علاقات متشعبة مع النخب السياسية والعسكرية الإيرانية²⁶. ولعل الأهم من علاقة الإيرانيين برئيس الوزراء نفسه، تأثيرهم على تشكيل مكتب رئيس الوزراء حيث كانت لهم اليد الطولى في مواطن صنع القرارات اليومية. هناك تصور

22. مقابلة أجراها المؤلف مع أحد المفكرين الصديريين عبر الهاتف، 6 آذار 2021. مقابلة أجراها المؤلف مع دبلوماسي أوروبي رفيع المستوى عبر الهاتف، 19 آذار 2021.

23. مقابلة المؤلف مع محلل سياسي عراقي عبر الهاتف، 24 آذار 2021.

24. مقابلة المؤلف مع مستشار لقائد سياسي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021.

25. مقابلة المؤلف مع المثقف الصديري عبر الهاتف، 6 آذار 2021.

26. مقابلة المؤلف مع محلل عراقي حول تطبيق الاتصالات، 13 آذار 2021.

واسع بين المحللين والشخصيات السياسية العراقية بأن عبد المهدي كان رئيس وزراء لا نفع فيه، وأن القرارات السياسية كانت تحت سيطرة رئيس ديوانه محمد الهاشمي، المعروف أيضاً باسم أبو جهاد، وشخصيات سياسية بارزة أخرى مثل الفياض²⁷. كان أبو جهاد، كحال رئيس الوزراء، عضواً سابقاً في المجلس الأعلى الإسلامي العراقي وكان يُعتقد أن له صلات وثيقة جداً بفيلق القدس. تُشير مصادر عديدة إلى أن أبو جهاد كان على تواصل دائم بالإيرانيين، ووافق على طلباتهم لدرجة أن البعض قد تساءل فيما إذا كان ولاءه لإيران بدلاً من العراق²⁸.

ومع وجود نوع من العلاقات المستمرة بين إيران ودول الخليج خلال فترة تولي عبد المهدي منصب رئي الوزراء، بما في ذلك توقيع 13 اتفاقية سياسية واقتصادية بين العراق والمملكة العربية السعودية في نيسان 2019 خلال زيارة عبد المهدي إلى الرياض كان هناك تصور واسع يُفيد بسعي جهات فاعلة وموالية لإيران في مكتب عبد المهدي لعرقلة توثيق العلاقات مع دول الخليج²⁹. وساهم غضب الولايات المتحدة المتزايد من اصطفاغ إدارة عبد المهدي مع إيران في تردد دول الخليج خلال تلك الفترة³⁰. في النهاية، لم تدم إدارة عبد المهدي سوى 18 شهراً، بيد أنها خلقت بيئة غير مضيافة لنمو علاقات عراقية خليجية.

حملة "الضغط الأقصى" الأمريكية

صدّدت إدارة ترامب حملة "الضغط الأقصى" خاصتها ضد إيران - بما في ذلك العقوبات وأشكال أخرى من الضغوطات خلال فترة تولي عبد المهدي منصب رئيس الوزراء. وهذا ما عزز عن غير قصد علاقة اقتصادية وسياسية أوثق بين إيران والعراق³¹. فأصبح العراق شريان حياة اقتصادي يغذي جارتها التي تنعزل عن العالم أكثر فأكثر. كان العراق الوجهة الأولى للصادرات الإيرانية منذ عام 2018؛ فقد ورد أن إيران قد صدرت ما قيمته 12 مليار دولار من البضائع إلى العراق في عام 2019 (ما عدا نشاط السوق السوداء الكبير). توقع رئيس اللجنة الاقتصادية الإيرانية العراقية

27. مقابلة المؤلف مع مصدر حكومي عراقي رفيع المستوى عبر الهاتف، 6 آذار 2021. مقابلة المؤلف مع مستشار لقائد سياسي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021.

28. مقابلة المؤلف مع مصدر حكومي عراقي رفيع عبر الهاتف، 6 آذار 2021. مقابلة المؤلف مع مستشار لقائد سياسي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021. مقابلة المؤلف مع محلل عراقي بر تطبيق من تطبيقات الاتصالات، 13 آذار 2021.

29. مقابلة أجراها الكاتب مع أحد قيادي التيار الصدري عبر الهاتف، 5 آذار 2021.

30. مقابلة المؤلف مع مستشار لتيار الحكمة السياسي عبر الهاتف، 8 آذار 2021. مقابلة أجراها المؤلف مع محلل عراقي عبر الهاتف، 4 آذار 2021. مقابلة أجراها المؤلف مع مفكر صدري عبر الهاتف، 6 آذار 2021.

31. مقابلة المؤلف مع محلل إيراني عبر الهاتف، 24 آذار 2021.

المشتركة ووزير الطاقة الإيراني رضا أردكانيان في كانون الثاني من العام 2021 أن التجارة الثنائية سترتفع إلى 20 مليار دولار، وكشف عن خطة الحكومتين الإيرانية والعراقية لتوقيع اتفاقيات جديدة للتعاون في مجال المياه والطاقة. وقد إدعى أردكانيان أن إيران تزود العراق بنسبة 40 في المائة من الكهرباء وتُصدّر ما قيمته 4 مليارات دولار من الغاز إلى البلاد كل عام، وهذا بحسب ما ورد هو ثلث الغاز المستخدم لتوليد الطاقة في العراق في عام 2019.

تزايدت ضغوط الولايات المتحدة على إدارة عبد المهدي لتقليل اعتماد العراق على صادرات الطاقة الإيرانية، ودعمت إبرام صفقة أيلول من العام 2019 لتمكين العراق من الاستفادة من شبكة الربط الكهربائي ع دول الخليج، مما سيؤدي في النهاية إلى استيراد 500 ميغاواط من الكهرباء من الكويت إلى البصرة، مع إمكانية الوصول إلى استيراد 1800 ميغاواط. ومع ذلك، فشلت هذه الجهود في تقويض اعتماد العراق على الوقود الإيراني. خلال حملة الضغط الأقصى، قدمت الولايات المتحدة في نهاية المطاف إعفاءات متكررة من العقوبات، للسماح باستمرار واردات الطاقة من إيران لغرض منع انقطاع الكهرباء الذي يزعزع الاستقرار في العراق. في حزيران عام 2020، اتفقت بغداد وطهران على تمديد عقدهما الخاص بتزويد العراق بالغاز الإيراني لمدة عامين.

كان الصمت هو رد الفعل الأولي لإيران على حملة الضغط الأقصى، حيث سعت إلى الحفاظ على دعم دول الأوروبية، بيد أنها ردت في النهاية بتصعيد الهجمات على الوجود الأمريكي في العراق من خلال علاقاتها مع الجماعات المسلحة العراقية. زادت الهجمات التي تشنها الجماعات المتحالفة مع إيران على قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة في العراق بحلول نهاية عام 2019، بما في ذلك الهجمات الصاروخية على القواعد العسكرية والعبوات المزروعة على جوانب الطرق والتي تستهدف الأرتال التي تزود التحالف الدولي بالمؤن. أدى هذا الهيجان إلى مقتل متعاقد مدني أمريكي في قاعدة K1، مما أشعل شرارة أعمال عنف على مدى أسبوع كامل تضمنت ضربات جوية أمريكية على قاعدة للميليشيات وهجوم من أنصار تلك الميليشيات على مقر السفارة الأمريكية في بغداد. بلغ هذا التصعيد ذروته عندما قتلت ضربات جوية نفذتها طائرات أمريكية بدون طيار سليمان والمهندس.

حركة الاحتجاج

ربما كانت ما تُسمى بثورة تشرين في العراق - وهي حركة احتجاجية اشتعل فتيلها في جنوب ووسط العراق في شهر تشرين الأول من العام 2019، واستمرت بين كَرّ وفر حتى يومنا هذا- أكبر تحدٍ للعلاقات الإيرانية العراقية منذ الحرب الأهلية 2007-2006. لقد أدى رد الأجهزة الأمنية العراقية القاسي للغاية على المظاهرات، بما في ذلك قوات الحشد الشعبي، إلى مقتل أكثر من 560 متظاهراً. طاردت الجماعات المسلحة النشطاء الأفراد وركزت على طلاب وخريجي الجامعات الليبراليين من الطبقة الوسطى وشنّت حملة اغتيالات ضدهم. كان غضب الجمهور العراقي من هذا الرد العنيف موجهاً جزئياً ضد إيران بسبب الدعم الكبير الذي قدمته للحكومة العراقية وقوات الأمن والجماعات المسلحة غير الحكومية³².

أصدر مسؤولون إيرانيون تصريحات ضد المتظاهرين واتهموهم بأنهم عملاء أجانب يسعون لتقويض الدولة العراقية. ألقى آية الله علي خامنئي باللوم على "أمريكا وأجهزة المخابرات الغربية" في إثارة هذا الشقاق، مما زاد من حدة غضب المتظاهرين تجاه إيران، حيث علت صيحات في بعض التظاهرات تطالب علانيةً بخروج إيران من العراق، وأضرم متظاهرون النار في القنصلية الإيرانية في النجف ثلاث مراتٍ منفصلة وهاجموا القنصلية الإيرانية في كربلاء، ولم يتوقفوا عند هذا الحد، بل استهدفوا مقرات الأحزاب السياسية المدعومة من إيران وقوات الحشد الشعبي.

شكّلت المظاهرات انتكاسة جسيمة للنفوذ الإيراني في العراق. تضررت سمعة إيران بين الجمهور العراقي بشدة - حيث وجدت دراسة استقصائية شملت أكثر من 1000 متظاهر أن 1 في المائة منهم فقط يثقون بإيران - وقوّضت شرعية حلفائها المقربين في العراق، وأدت استقالة إدارة عبد المهدي النابتجة عن التظاهرات إلى ضياع الحكومة المتعاونة للغاية مع إيران والداعمة لأنشطتها في العراق³³. ما زاد الطين بلة هو اغتيال سليمان بعد ذلك بوقت قصير.

32. مقابلة المؤلف مع المشاركين في الاحتجاجات في بابل وبغداد والناصرية والبصرة، عبر تطبيق زووم، كانون الأول 2020.

33. مقابلة المؤلف مع مستشار لقايد سياسي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021.

حكومة الكاظمي

تأثيرات نهج الكاظمي

الكاظمي هو رئيس سابق للمخابرات حلّ محلّ عبد المهدي في أيار من العام 2020 بوصفه رئيس وزراء انتقالي مُكلف بالإشراف على انتخابات مبكرة. لم يكن الكاظمي اختياراً مفضلاً لإيران، بيد أن فقدان سليمان والصيت السيء الذي تكبدته جزءاً حركة الاحتجاج العراقية قلل من قدرتها على تحديد خلف عبد المهدي³⁴. يقول أحد كبار المسؤولين العراقيين إن سليمان رفض الكاظمي، ولم يكن ل يتم ترشيحه لمنصب رئيس الوزراء لو كان سليمان حياً³⁵. رغم وجود تقارير عن علاقات الكاظمي الإيجابية مع حكومة الرئيس حسن روحاني في طهران ومع أجهزة استخبارات إيرانية غير تابعة للحرس الثوري الإيراني، يبدو أن علاقته متأزمة مع فيلق القدس³⁶.

وقد اتضحت هذه الحقيقة من خلال جهوده المتكررة لكبح الأنشطة غير المصرح بها لعناصر الحشد الشعبي والجماعات المسلحة غير الحكومية المدعومة من إيران في العراق، التي أجهضها جميعاً بسبب تهديدات العنف من هذه الجماعات.

في خضم ذلك، سمحت نظرة الكاظمي الإيجابية نحو دول الخليج بوجود علاقات عراقية خليجية ربما الأقوى من نوعها منذ عام 2003.³⁷ عند توليه منصب رئاسة الوزراء، سلّط الكاظمي الضوء على تطوير "علاقات الأخوة والتعاون" مع الدول العربية، بوصفها إحدى أولوياته الرئيسية، ويؤكد مسؤولون حكوميون سعي الكاظمي بنشاط إلى تطوير علاقات اقتصادية وسياسية متينة مع دول الخليج³⁸. وقد ساعد في ذلك العلاقات الشخصية الوثيقة بينه وبين قادة دول الخليج، والتي قوى أواخرها خلال فترة عمله رئيساً لجهاز المخابرات العراقية. أفادت مصادر عراقية أن للكاظمي علاقات شخصية وثيقة مع محمد بن سلمان وولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد، وأن هذه العلاقات

34. مقابلة المؤلف مع مستشار لقائد سياسي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021. مقابلة المؤلف مع مسؤول عراقي عبر الهاتف، 6 آذار 2021.

35. مقابلة المؤلف مع مسؤول عراقي عبر الهاتف، 6 آذار 2021.

36. مقابلة المؤلف مع محلل إيران عبر تطبيق زووم، 10 آذار 2021.

37. مقابلة المؤلف مع مستشار لقائد سياسي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021. مقابلة المؤلف مع مستشار لتيار الحكمة السياسي عبر الهاتف، 8 آذار 2021. مقابلة المؤلف مع محلل شؤون العراق عبر الهاتف، 4 آذار 2021.

38. مقابلة المؤلف مع مسؤول حكومي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021.

عززت تعاوناً أوثق بين العراق والسعودية والإمارات³⁹. سعت حكومة الكاظمي أيضاً إلى تسخير علاقاتها الوثيقة مع المملكة العربية السعودية لتسهيل المحادثات بينها وبين إيران.

وتجري حكومة الكاظمي مفاوضات مع الإمارات لفتح خط شحن مباشر من ميناء أم قصر العراقي إلى الإمارات. في كانون الثاني من العام 2021، وقّعت شركة إماراتية صفقة لتطوير مصفاة نפט في ذي قار، بينما وقّعت أبو ظبي اتفاقية مع بغداد لغرض بدء مشاريع استثمارية إماراتية في العراق بقيمة 3 مليارات دولار قبل أن تعد بمزيد من التعاون الاقتصادي، وذلك عقب زيارة الكاظمي للإمارات في نيسان 2021. وفي تشرين الثاني من العام 2020، أعلن وزير الخارجية العراقي أن حكومته ستشتري 400 ميغاواط من الكهرباء من شبكة دول مجلس التعاون الخليجي عن طريق المملكة العربية السعودية. وفي الشهر نفسه أعيد فتح معبر عرعر الحدودي، والذي وُصف بأنه علامة على التقدم في العلاقات العراقية السعودية. وهناك أيضاً محادثات بقيادة المملكة السعودية للنظر في الاستثمار في الطاقة الشمسية وفي التقاط الغاز الطبيعي المهذور. أسست هذه التطورات الإيجابية في العلاقات العراقية السعودية لزيارة الكاظمي للسعودية في نيسان 2021، والتي نتج عنها إعلان عن عدد من الاتفاقيات الهادفة إلى تعزيز التعاون بين البلدين، بما في ذلك إنشاء صندوق استثمار سعودي بقيمة 3 مليارات دولار للشروع بمبادرات اقتصادية مشتركة في العراق.

وعلى الرغم من هذا التقدم في العلاقات بين العراق ودول الخليج، لا يزال هناك تردد كبير بين دول الخليج بشأن العراق، لأن حكومة الكاظمي ليست سوى حكومة مؤقتة. إن دول الخليج قلقة من إمكانية إلغاء الاتفاقيات المبرمة في ظل حكومة الكاظمي بعد الانتخابات المقرر إجراؤها في تشرين الأول من العام 2021، إذا ما تولت السلطة حكومة موالية لإيران. كما يستمر شعور الاحباط لدى دول الخليج جراء التأخر في تنفيذ الاتفاقيات المشتركة بسبب بيروقراطية الدولة العراقية المختلة وظيفياً، وتخشى أن تُقوض الجهات السياسية العراقية المؤيدة لإيران مبادراتها كلها.

39.مقابلة المؤلف مع محلل العراق حول تطبيق الاتصالات، 13 آذار 2021. مقابلة المؤلف مع مسؤول حكومي عراقي عبر الهاتف، 16 آذار 2021.

تداعيات اغتيال سليمان

اضطرت إدارة الكاظمي إلى التعامل مع تصعيد كبير في الصراع بين الولايات المتحدة وإيران بعد اغتيال سليمان، حيث تجري الأحداث المحركة لهذا الصراع في المقام الأول على الأراضي العراقية. أظهرت البيانات المأخوذة من مشروع (بيانات مواقع النزاعات المسلحة وحالاتها) زيادة كبيرة في عدد حوادث العنف في العراق بين الجماعات المسلحة المدعومة من إيران والولايات المتحدة وحلفائها، حيث ارتفع العدد من 19 حادثة مسجلة في عام 2019 إلى 87 حادثة في عام 2020. ألقى كلا طرفي النزاع، الولايات المتحدة وإيران، ضغوطاً كبيرة على كاهل حكومة الكاظمي للدفاع عن مصالحهما في العراق. في حزيران من العام 2020، أشار قائد القيادة المركزية الأمريكية الجنرال كينيث ماكنزي إلى أن العراق "هو المسرح الرئيس للمواجهات" بين القوات الأمريكية والإيرانية وأنها "توجه إلى العراق أولاً لتوفير الوسائل الدفاعية". في غضون ذلك، قال خامنئي في اجتماع مع الكاظمي في تموز 2020 أن إيران "تتوقع أن يعرف أصدقائها العراقيون الولايات المتحدة وأن يضعوا في نظر الاعتبار أن وجود الولايات المتحدة في أي دولة سيؤدي إلى الفساد والحرب والدمار"، مضيفاً أن إيران تتوقع أن تطرد الحكومة العراقية القوات الأمريكية. تراجعت الهجمات التي تشنها الجماعات المدعومة من إيران إلى حد ما قبل الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام 2020 وأثنائها ولفترة بعد فوز جو بايدن، حيث سعت طهران لتوفير مساحة سياسية للسماح للإدارة الأمريكية الجديدة بالعودة إلى الاتفاق النووي الإيراني. بيد أن قرار إدارة بايدن بعدم العودة فوراً إلى الاتفاق النووي أدى إلى تصاعد الهجمات مرة أخرى، لأن إيران تسعى لجعل الولايات المتحدة تدفع ثمن مواصلة فرض العقوبات عليها.

ما تزال إدارة الكاظمي تأمل في أن يسعى بايدن إلى تقليل التوترات مع إيران، وبالتالي الحد من أعمال العنف في العراق. لقد اتخذت الولايات المتحدة بالفعل بعض الخيارات التكتيكية المهمة: ففي مستهل عام 2021 قررت الرد على هجوم على أفراد أمريكيين في العراق عن طريق ضرب هدف تابع لقوات الحشد الشعبي في سوريا وليس في العراق، وورد أنها وافقت على الإفراج عن الأموال الإيرانية التي جُمِدت سابقاً في العراق جرّاء العقوبات الأمريكية. تُشير هذه الخيارات إلى رغبة الولايات المتحدة في حماية العراق من صراعها مع إيران، وتخفيفها لبعض الضغوط التي تُثقل بها إيران كاهل الكاظمي. رغم عدم تحمس دول الخليج لعودة الولايات المتحدة إلى الاتفاق النووي الإيراني، إلا أن تطوراً مثل هذا من شأنه أن يقلل التوترات في العراق بشكل كبير ويفتح آفاقاً جديدة لعلاقاتٍ خليجية أقوى فيه.

المنافسة الإيرانية على سياسة العراق

يعتقد العديد من المحللين العراقيين والمصادر السياسية أن هناك تصعيداً في المنافسة بين مختلف الجهات الإيرانية الفاعلة لتحديد سياسة إيران في العراق منذ اغتيال سليمان⁴⁰. يُقال إن ما يصل إلى أربع وكالات استخبارات إيرانية تُنسق أعمال الجماعات المسلحة العراقية، مع وجود تقاريرٍ عن أوامر متناقضة ومتضاربة. وورغم أن فيلق القدس لا يزال مهيمناً، إلا أنه لم يعد يتمتع بتلك السلطة التي كان يمارسها في العراق في ظل قيادة سليمان. سعت أجهزة مخابرات إيرانية غير مرتبطة بالحرس الثوري الإيراني إلى التدخل في العلاقات مع الجماعات المسلحة العراقية، مما تسبب في خلق نوع من الفوضى والصراع⁴¹. كما كانت هناك آراء متضاربة داخل القيادة في طهران حول كيفية الرد على اغتيال سليمان ومدى الضغط الذي يجب ممارسته على إدارة بايدن للعودة إلى الاتفاق النووي. قد يكون كل هذا قد ساهم أيضاً في زعزعة تماسك النفوذ الإيراني في العراق⁴²، حيث طُرحت تكهنات تفيد بأن طهران لا توافق بشكل كامل على بعض الهجمات المستمرة التي تشنها الجماعات المسلحة العراقية المدعومة من إيران على أهداف أمريكية في العراق⁴³.

من المقرر إجراء الانتخابات الرئاسية الإيرانية في حزيران من هذا العام. ويقترح العديد من المحللين المختصين بالشأن الإيراني أن شخصاً مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بالحرس الثوري الإيراني أو قريباً منه سيكون من بين المرشحين الأوائل في الانتخابات⁴⁴، وإن فاز بالرئاسة سياسي مرتبط بالحرس الثوري الإيراني فمن المحتمل أن يكون هناك تكثيف للهجمات على أهداف غربية في العراق، وأن إيران ستسبني نهجاً أكثر تشدداً تجاه العلاقات الخليجية المتنامية مع العراق.

الاستنتاجات و التوصيات

تلتزم الدول الأوروبية بدعم الاستقرار والأمن والاستدامة الاقتصادية للدولة العراقية وتدرك أن تعزيز العلاقات العراقية مع دول الخليج من شأنه أن يساهم في تحقيق هذه الأهداف. لطالما شجعت الدول الأوروبية والاتحاد الأوروبي تعزيز العلاقات الخليجية العراقية مع الاعتراف أيضاً

40. مقابلة المؤلف مع محلل شؤون العراق عبر الهاتف، 4 آذار 2021. مقابلة المؤلف مع أحد قيادي التيار الصدري عبر الهاتف، 5 آذار 2021.

41. مقابلة المؤلف مع أحد كبار الصدر عبر الهاتف، 5 آذار 2021.

42. مقابلة المؤلف مع محلل إيران عبر تطبيق زووم، 10 آذار 2021.

43. مقابلة المؤلف مع مصدر حكومي عراقي رفيع المستوى عبر الهاتف، 6 آذار 2021.

44. مقابلة المؤلف مع محلل إيراني عبر تطبيق زووم، 10 آذار 2021.

بحساسية الديناميكيات في العراق وحدود تأثير هذه الديناميكيات في هذه المسألة. نظراً لحداثيتها، ولا سيما عند مقارنتها بالولايات المتحدة، فإن الدول الأوروبية تمتلك فرصة لمواصلة الضغط على طهران وواشنطن لوقف تصعيد الصراع الأمريكي الإيراني، ويمكنها أيضاً المطالبة بإبقاء العراق بعيداً عن مثل هذه العداوات، خاصة وأن هناك جمهوراً مُتقبلاً لهذا النوع من الرسائل في إدارة بايدن.

لا ينبغي للدول الأوروبية أن تعتبر تشجيع المزيد من الانخراط الخليجي مع العراق وسيلةً لمواجهة إيران -مما سيؤدي إلى مزيد من التصعيد والاستقطاب- بل ينبغي لها اعتبار هذا الانخراط وسيلةً لتأكيد سيادة العراق واستقراره وعزله عن الخصومات الإقليمية. في الواقع، يمكن لعراقٍ ينخرط بشكلٍ إيجابيٍ مع كل من إيران وجيرانها في الخليج أن يكون مثلاً بالغ الأهمية في اتباع نهجٍ يساعد على تحقيق استقرار المنطقة نظراً إلى الصراع الأوسع الذي يدور في جميع أنحاء هذه المنطقة. رغم أن التصدي لبروز إيران بوصفها قوةً إقليمية هو هدف أساسي لدول الخليج في العراق، إلا أن على الدول الأوروبية نصحتها بأن اتباع نهج أكثر إيجابية لبناء علاقات مستدامة مع العراق سيؤدي إلى فرصة أفضل في تحقيق مكاسب على المدى الطويل. في الواقع، إذا أتيحت للعراق الفرصة لتأدية دور أكثر استقلالية في الشرق الأوسط، فبإمكانه المساعدة في تقليل التوترات في المنطقة، وقد إتضح هذا في الدور الذي أدته حكومة الكاظمي مؤخراً في تسهيل المحادثات بين السعودية وإيران في بغداد.

مع أخذ ذلك في الحسبان، يجب على الدول الأوروبية الضغط على دول الخليج لتحديد نهج إستراتيجي طويل المدى تجاه العراق والسعي لتحقيقه. فالعلاقة التي تطورت على فترات متقطعة منذ عام 2014 تُقوض بالافتقار إلى الاستمرارية في التواصل الخليجي والتي تعتبر سيئة مقارنةً مع التواصل الإيراني المستمر⁴⁵. غالباً ما تتردد الجهات الخليجية الفاعلة في الاستثمار بكثافة في العراق خوفاً من أن يؤدي تغيير الحكومة أو تصعيد أنشطة الجماعات المسلحة إلى تقويض تقدمها، لكن النهج الأطول أجلاً من شأنه أن يساعد دول الخليج على امتصاص الانتكاسات قصيرة المدى، بينما تظل ملتزمةً بالهدف النهائي المتمثل في تعزيز موقعها في العراق. مثل هذا الموقف من شأنه أن يُشجع القادة السياسيين العراقيين على التعاون مع دول الخليج، مما يؤسس التزاماً عراقياً أقوى بالعلاقات.

45.مقابلة المؤلف مع مسؤول حكومي عراقي عبر الهاتف، 16 مارس 2021. مقابلة أجراها المؤلف مع مصدر حكومي عراقي رفيع عبر الهاتف، 6 آذار 2021. مقابلة المؤلف مع مفكر صديري عبر الهاتف، 6 آذار 2021.

يمكن للدول الأوروبية أيضاً السعي لإقناع دول الخليج بتكثيف تعاونها الاقتصادي والأمني مع العراق بنحو أكبر بكثير في المجالات الثقافية والعامّة في البلاد والامتناع عن تمويل الجهات السياسية الفردية الفاعلة في العراق فضلاً عن الأحزاب.

لدى دول الخليج فرصة للاستفادة من غضب الشعب العراقي المتزايد على إيران بسبب رعايتها للجماعات المسلحة والجهات السياسية الفاعلة الفاسدة في العراق. بدلاً من السعي إلى التنافس مع إيران من خلال تكرار النهج الإيراني، يجب على دول الخليج أن تميز نفسها بوضوح عن إيران من خلال تجنب المشاركة المباشرة في السياسة العراقية ورفضها علناً تمويل أو دعم أي جهات أو أحزاب سياسية عراقية. يجب على دول الخليج أيضاً الاستثمار في حملة لتحسين صورتها بين الجمهور العراقي من خلال الاستثمار في البرامج التي لها تأثير مباشر على حياة الطبقة المستضعفة في العراق والانخراط في التوعية الثقافية ومعالجة الخطاب الطائفي أو التقسيمي الصادر من الخليج.

يعد تعهد دولة الإمارات العربية المتحدة عام 2018 بإعادة بناء جامع النوري في الموصل والتزامها بالمساعدة في إعادة بناء كنيسة سريانية في المدينة مثالين إيجابيين على هذه المشاركة، لكن على دول الخليج أيضاً تقديم المساعدة للمحافظات الجنوبية العراقية ذات الأغلبية الشيعية، حيث الشك أكبر في نوايا الخليج⁴⁶. كان تعهد المملكة العربية السعودية لعام 2019 ببناء مدينة رياضية في البصرة بادرة غاية في الأهمية ركزت على جنوب العراق، وهي خطوة أثمرت في الاستقبال الحافل لفريق كرة القدم السعودي الذي لعب في المدينة العام الماضي⁴⁷. في حال تسهيل حصول العراقيين على التأشيرات وفرص استخدام الخدمات الصحية في دول الخليج، فسيكون لتلك الدول تأثير قوي ومباشر على الرأي العام العراقي.

يمكن للدول الأوروبية أيضاً النظر في مسألة تردد دول الخليج في الاستثمار في العراق من خلال تطوير مشاريع استثمارية مشتركة معها، علماً أن هذا التردد قد نتج من الخوف من تقويض الجهات المؤيدة لإيران هذه الأنشطة. قد تستفيد دول الخليج أيضاً من المساعدة الفنية الأوروبية لتحديد المجالات الواعدة للتعاون الاقتصادي في العراق، ويمكنها زيادة تأثير استثماراتها الاقتصادية في العراق من خلال التركيز على القضايا التي يكون فيها العراق في أمس الحاجة إليها. تُعتبر الاتفاقيات التي تمنح العراق إمكانية الحصول على الطاقة الكهربائية من شبكة الربط لدول

46. مقابلة أجراها المؤلف مع أحد قيادي التيار الصدري عبر الهاتف، 5 آذار 2021.

47. مقابلة المؤلف مع مفكر صدري عبر الهاتف، 6 آذار 2021.

مجلس التعاون الخليجي مُفيدة بنحو خاص وذات أهمية استراتيجية لأنها تقلل من اعتماد العراق على الطاقة الإيرانية. وهناك فرص أخرى لدول الخليج للاستثمار في شبكة توزيع الكهرباء في العراق ودعم حاجة البلاد لتوفير طاقة كهربائية مستدامة ويمكن التنبؤ بها.

إضافة لما ذكر، في الوقت الذي تسعى فيه حكومة الكاظمي إلى تحديد طرق لتنويع الاقتصاد العراقي في أعقاب أزمة اقتصادية كبيرة في عام 2020، يمكن لدول الخليج أن تدعم الحكومة العراقية بالمشورة الفنية والسياسية بناءً على المبادرات الطموحة التي اتخذتها لدعم التنويع الاقتصادي في بلدانها، مثل خطة (رؤية السعودية 2030). يمكن للدول الأوروبية أيضاً المساعدة في تنفيذ المشاريع التي إتفق عليها مسبقاً من خلال تقديم المساعدة الفنية للحكومة العراقية، فهي بأمرس الحاجة إلى مثل هذا الدعم للتغلب على العقبات البيروقراطية الكبيرة.

في نهاية المطاف، تحتاج دول الخليج إلى تبني نهج أكثر مرونة تجاه العراق يحدد بوضوح مصالحها الخاصة في البلاد، نهج يفصل استثمارها في العراق عن سياساتها تجاه إيران، وهذا من شأنه أن يقلل من اعتمادها على الدول الأوروبية والولايات المتحدة في حماية مصالحها في البلاد. يجب أن تكتسب سياسة دول الخليج بشأن العراق قدراً أكبر من التسامح مع النفوذ الإيراني الحتمي في البلاد، مع السعي إلى تعزيز تفاعلها معه من خلال تطوير علاقات متسقة مع المؤسسات العراقية بدلاً من الأفراد.

شكر وتقدير

يود المؤلف أن يتقدم بالشكر لـ ويل غزانت بروك وكل من قدم وقته بسخاء في المقابلات.

المصدر: القنصلية الأوربية للعلاقات الخارجية

الرابط:

<https://ecfr.eu/publication/the-gulf-between-them-what-gulf-countries-can-learn-from-irans-approach-to-iraq/>